المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

تم إجراء التصويبات حسب
توجيهات لجنة المناقشة
د / أحمد محمد نور سيف
د / أحمد ناصر محمد الحمد
د / الشريف منصور بن عون العبد لي
د / سيد عبد العزيز السيلي

موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية

جامعة أم القرى مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

الأمين الصادق الأمين

٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٣٠٣

إشراف

الدكتور أحمد محمد نور سيف

الدكتور أحمد ناصر محمد الحمد

١٤١٤ هـ

الجزء الثاني

الحديث الثالث :
حديث وقوع الذباب فى الإناء .

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأى وعن التشريع جميعاً .

أما التشريع فى مثل هذا فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعاً ، وكل ضار ظناً فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفاً .

فغمس الذباب فى المائع الذى يقع فيه لايتفق مع قاعدة تحريم الضار ولامع قاعدة اجتناب النجاسة .

وأما الرأى فلايمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحى الذبابة فى أن أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم .

وإننا لم نر أحداً من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث ، فالظاهر أنهم عدوه مما لادخل له فى التشريع كغيره من الأحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية ...

وإن إخراج البخارى لهذا الحديث فى جامعه لايعصمه من التماس علة فى رجاله تمس مناعة صحته ، فإن مداره عنده على عبيد بن حنين(١) مولى بنى زريق انفرد به وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين

---

(١) هو عبيد بن حنين ، أبو عبد الله المدنى ، روى عن أبى موسى وزيد بن ثابت وطائفة ، وعنه أبو الزناد ويحي بن سعيد ، ثقة قليل الحديث . مات سنة ١٠٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٤٠٤/٥ ، الكاشف ٢٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٥٤٢/١ .
ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به رشيد رضا . أو أعل هذا الحديث أو غيره بسببه .
وماذكره رشيد رضا مردود بتوثيق العلماء له .

الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع(١)عن ابن عمر مثلاً ، ومن الغريب أنه لم يذكر فى تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبى هريرة ، فإن كان بينهما واسطة يكون منقطعاً ، ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل . وفيه أن أبا حاتم قال فيه كان صالح الحديث وهى من أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبى وغيره عليها كلمة لابأس به .

فإذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لايكون قد ضيع من دينه شيئاً ، ولايقتضى ارتيابه هذا أوجزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن فى البخارى لأنه قبل روايته لأنه لم يعلم جارحاً يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذى يجبره حديث أبى سعيد عند النسائى وابن ماجه بمعناه ... وكل من ظهر له علة فى رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعاً ، ولايصح أن يقال فى حقه أنه مكذب لحديث كذا ...

تنبيه : أن ابن حنين راوى حديث الذباب من مسلمة الأعاجم والظاهر أنه من النصارى"(٢).

وقال : "وإننى أعلم بالاختيار أيضاً أن ذلك المسلم الغيور - يعنى محمد توفيق صدقى(٣)- لم يطعن فى صحة هذا الحديث كتابة إلا لعلمه بأن

---

(١) هو نافع أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، مشهور . وهو من أئمة التابعين وأعلامهم .
روى عن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة ، وعنه أيوب ومالك والليث . قال مالك "إذا سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر لاأبالى أن لاأسمع من غيره" .
مات سنة ١١٧هـ أو بعدها .
انظر : الجرح والتعديل ٤٥٢/٨ ، الكاشف ١٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٩٦/٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٤٨-٥٠ .

(٣) وهو من الذين طعنوا فى حديث الذباب وردوه بالعقل .
انظر مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص٩٧ .

تصحيحه من المطاعن التى تنفر الناس عن الإسلام ، وتكون سبباً لردة بعض ضعفاء الإيمان ، وقليلى العلم الذين لايجدون مخرجاً من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة فى المتن تمنع صحته ، وكان هو يعتقد هذا . وماكلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخارى ويؤمن بكل مافيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافى أصول الإسلام ... يكفر مسلم من خيار المسلمين علماً وعملاً ودفاعاً عن الإسلام ودعوة إليه بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد يكون مجهولاً واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلاً فى الإسلام وهو عبد الله بن حنين .

وموضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ولامن شرائعه ولاالتزم المسلمون العمل به"(١).

ويرى محمود أبو رية أن الإنسان وصل فى هذا العصر إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم التى تدهش العقول ، فلاينبغى للإنسان أن؛ يشغل الناس بالأبحاث العقيمة التى لاتنفع ولاتفيد بل هى إلى الإساءة أدنى وإلى ضرر الناس أقرب .

ومثال لذلك بحث حديث الذباب الذى يفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام ، ويتوارى عن ذلك أولياؤه ، بل يجب أن يترك هذا البحث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لايمكن نقضها ولايرد حكمها .

ثم قال :

"وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم مايخالف حديثاً من الأحاديث التى جاءت من طريق الآحاد وبخاصة إذا كان هذا الحديث فى أمر من أمور الدنيا التى ترك النبى صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس . وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً .

---

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص٥٠-٥١ .

الأخبار التى جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لاتعطى اليقين وإنما تعطى (الظن) والظن لايغنى من الحق شيئاً . وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك فى صدره شىء منها . وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار)(١) من الحشوية الذين لايقام لهم وزن .

وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث الآحاد وهى التى تفيد الظن - وإذا لم يسعنا ذلك فى رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ماوضعه العلماء من قواعد عامة - ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ماصح سنده يكون متنه صحيحاً ، ولاكل مالم يصح سنده يكون متنه غير صحيح - بل قالوا - إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً فى الواقع . وإن صحيح السند قد يكون موضوعاً فى الواقع . ومن القواعد المشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخارى وهو لايروى إلا ماكان صحيحاً ، فإنا نرد على ذلك بأن البخارى قد روى فى كتابه مااعتبره هو صحيحاً عملاً بظاهر الإسناد لاماثبت فى الواقع أنه صحيح . ومن أجل ذلك لايلزم غيره بما اعتبره هو . وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلماً قد

---

(١) الزاملة : هى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .
انظر : القاموس المحيط ص١٣٠٦ .
وأسفار : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .
انظر : المرجع السابق ص٥٢٣ .
والمراد أنهم حملة كتب لايفقهون مافيها .

اتفقا على روايته(١).

على إننا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبى صلوات الله عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس فى الرجوع عنه ، وعدم الأخذ به ، لأنه من أمور الدنيا . ولنا فى ذلك أسوة حسنة بما فعل النبى صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بأن لايؤبروه(٢)، ثم ذكر حديث التأبير . وذكر أن الحديث من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

❁ روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن فى إحدى جناحيه شفاء وفى الآخر داء"(٣).

---

(١) قال ابن الصلاح : "أعلاها ـ أى مراتب الصحيح ـ الأول وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيراً صحيح متفق عليه . يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخارى ومسلم لااتفاق الأمة عليه .لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقى مااتفقا عليه بالقبول" .
مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص٤١ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص١٩٩-٢٠١ فى الهامش .
وسوف يأتى تخريج حديث تأبير النخل والكلام عنه .
والتأبير : هو التلقيح من أبرت النخلة إذا لقحتها فهى مأبورة ومؤبرة أى ملقحة .
انظر : النهاية فى غريب الحديث ١٣/١ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب إذا وقع الذباب فى الإناء (٥٨) من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة ٣٣/٧ .
وأخرج نحوه من رواية عبيد بن حنين أيضاً فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم (١٧) ، ١٠٠/٤ .
وأخرج أبو داود فى سننه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب فى الذباب يقع فى الطعام ، ورقمه ٣٨٤٤ ، ٣٦٥/٣ .
وأخرج النسائى فى سننه نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى ، كتاب الفرع والعتيرة ، باب الذباب يقع فى الإناء ١٥٨/٧ .
وأخرج ابن ماجه فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٣٥٠٥ ، ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ٣٥٠٤ ، كتاب الطب (٣١) ، باب يقع الذباب فى الإناء (٣١) ، ١١٥٩/٢ . =

.....

= وأخرج الدارمى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب الذباب يقع فى الطعام ، ٢/٩٨-٩٩ .
وأخرج البيهقى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وسعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة . وأشار إلى رواية أبى صالح عن أبى هريرة .
وأخرج نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى . كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل ١/٢٥٢،٢٥٣ .
وأخرج نحوه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب فى الماء لاينجسه (٨٠) ، ١/٥٥-٥٦ .
وأخرج الإمام أحمد فى مسنده نحوه من رواية :
سعيد المقبرى عن أبى هريرة ٢/٢٢٩،٢٣٠،٢٤٦،٤٤٣ ، وثمامة بن عبد الله بن أنس عنه ٢/٢٦٣،٣٥٥،٣٨٨ ، وأبى صالح عنه ٢/٣٤٠ ، ومحمد بن سيرين عنه ٢/٣٥٥،٣٨٨ ، وعبيد بن حنين عنه ٢/٣٩٨ ، وأبى سعيد الخدرى ٣/٢٤،٦٧ .
وأخرج ابن حبان فى صحيحه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة برقم ١٢٤٦ ، كتاب الطهارة(٨) ، باب المياه (١٠) ، ذكر مايعمل المرء عند وقوع مالانفس له تسيل ٤/٥٣ .
ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ١٢٤٧ ، فى الكتاب والباب السابقين ، ذكر الأمر بغمس الذباب فى الإناء ٤/٥٥-٥٦ (الإحسان) .
وأخرج البغوى فى شرح السنة نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٢٨١٣،٢٨١٤ ، ومن رواية سعيد المقبرى عنه .
ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ٢٨١٥ ، كتاب الصيد ، باب الذباب يقع فى الشراب ، ١١/٢٥٩-٢٦١ .
وأخرج نحوه ابن الجارود فى المنتقى من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٥٥ ، باب فى طهارة الماء والقدر الذى ينجس ولاينجس ص٢٩ .
وذكر الهيثمى نحوه فى مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط" . ٥/٤١ .

هـذا حديث ثابت عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم، وقـد تلقتـه الأمة بالقبول وآمنت بمضمون ماجاء فيه .

وهـو معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم الـذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}(١).

وقد طعن أهل البدع والضلال قديما فى صحته بحجـة أنه مخالف للعقل والـواقع ، وأثاروا الشبـه مـن حولـه فـانبرى للرد عليهـم وكشـف شبههـم ودحضهـا علماء أجلاء فواجهـوهم بالحجج الدامغة والأدلـة البينـة ، فأزالوا تلك الشبه وبينوا فسادها .

مـن أولئك العلماء الأفاضـل الإمام ابن قتيبة الـدينورى رحمه الله ، فقـد ذكـر فى كتـابه "تأويل مختلـف الحديث" أنه حديث صحيـح وأنه روى بألفاظ ، ثم قال :

"إن مـن حمـل أمـر الدين على مـاشاهد ، فجعـل البهيمـة لاتقـول ، والطـائر لايسبح ... والذباب لايعلم مـوضع السم ومـوضع الشفاء ، واعترض على مـاجاء فى الحديث ، مما لايفهمه ... فإنه منسلخ مـن الإسلام ، معطل ... مخالـف لما جاء به الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ولما درج عليـه الخيـار من صحابته والتابعون .

ومـن كذب ببعض ماجاء به رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، كـان كمـن كذب به كله ... وماعلمـت أحدا ينكر هذا إلا قـوما من الدهرية(٢)، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية"(٣).

ومن أولئك أيضا الإمام الطحاوى رحمه الله فى كتابه "مشكل الآثار" فقال بعد ذكره للحديث ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم :

---

(١) سورة النجم : آية ٤

(٢) قـال فى اللسان : "ورجل دهرى : ملحـد لايؤمن بالآخرة ، يقـول ببقـاء الدهر" . لسان العرب ٤/٢٩٣ .

(٣) ص٢٢٩ .

"قال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى ؟

فكان جوابنا فى ذلك له بتوفيق الله عز وجل وعونه أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرأ منه لوجد فيه مايدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وهو قوله عز وجل : {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس}(١)وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ماأمرها به ... فمثل ذلك الذباب ألهمه عز وجل ماألهمه مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيمايقع فيه مما فيه الداء والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء"(٢).

وجاء المُحْدَثُون فطعنوا فى هذا الحديث كما طعن فيه أسلافهم أهل الابتداع من قبل ، ولم يتزجروا بردود العلماء السابقين ، فزادوا شبه أولئك شبهاً أخرى انتجتها عقولهم التى جهلت حرمة النصوص وران عليها ظلام قاتم فلم تستوعب ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن كما هو ديدنها ، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

---

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨،٦٩

(٢) ٤/٢٨٣-٢٨٤ .

وهـذا ملخـص مـاسبق مـن عـرض لشبـه هـؤلاء المحْـدَثين حول هـذا الحديث :

(١) أخرجه البخـارى ، ولايمنعـه ذلك من التماس علة فى رجالـه تمنـع من صحته ، والعلة هى :

(أ) انفرد به ابن حنين . ثم طعن فيه بأوجه .

(ب) من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

(٢) إنه حديث آحاد يفيـد الظـن ، فلاإشكـال فى رده ، وهـو غـريب عن التشـريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتنـاب النجاسة ، وغريب عن الرأى لأنه يفرق بين جناحى الذباب ، فيدعـى أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع .

(٣) أثبت العلم بطلانه ، لأن العلم يقطع بمضار الذباب .

(٤) موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ، ولامن شرائعه ، ولاالتزم المسلمـون العمل به ، بل لم يعمـل به أحد منهـم لأنه لادخل له فى التشريع ، وإنما هـو فى أمـر مـن أمـور الـدنيا كحـديث "تأبير النخل" ، وبالتالى من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً .

(٥) تصحيحـه مـن المطاعن التى تنفـر عن الإسلام ، وتكـون سبباً فى ردة بعض ضعفاء الإيمان ، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام .

(٦) البحـث فيـه عقيم ، لايجب أن يشغـل النـاس به ، وقـد وصلـوا إلى مخترعـات ومكتشفـات من العلـوم . ولـذا يجب ترك البحـث فيـه إلى ماوصل إليه العلم من أحكام لاتنقض ولاترد .

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

(١) أولاً : لم ينفرد البخارى رحمه الله بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم ، وعبيـد بن حنين لم ينفرد بروايته عن أبى هريرة أيضاً .

فقد أخرجه البخارى وأبو داود وابن ماجه والدارمـى والبيهقى وابن خزيمة وأحمـد وابن حبـان والبغـوى وابن الجارود مـن حديث أبى هـريرة رضى الله عنه .

وأخرجه النسائى وابن ماجه والبيهقى وأحمد وابن حبان والبغوى من حديث أبى سعيد رضى الله عنه ، وأخرجه البزار والطبرانى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

ورواه عن أبى هريرة جماعة من التابعين(١).

ولو لم يرد هذا الحديث إلا فى صحيح البخارى ، لكان صحيحاً ، مقبولاً ، إذ البخارى هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وأحاديثه فى أعلى درجات الصحة .

ومن العجيب أن هذا الحديث لم يستدركه على البخارى أحد من أئمة الحديث ولم يقدح فى سنده أحد منهم ، بل هو عندهم مما جاء على شرط البخارى فى أعلى درجات الصحة(٢).

ولو تفرد به أبو هريرة رضى الله عنه لما وجدوا إلى الطعن فى صحته سبيلاً .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى بعد إخراجه الحديث :

"فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة ، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة : أبى هريرة وأبى سعيد وأنس ، ثبوتاً لامجال لرده ، ولاللتشكيك فيه كما ثبت صدق أبى هريرة رضى الله عنه فى روايته إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافاً لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين ، ومن تبعهم من الزائغين ، حين طعنوا فيه رضى الله عنه لروايته إياه ، واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه من ذلك، فهذا هو التحقيق العلمى يثبت أنه برىء من كل ذلك ، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه ، لأنهم رموا صحابياً بالبهت ، وردوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة !

---

(١) وهم : عبيد بن حنين وسعيد المقبرى وثمامة بن عبد الله بن أنس وأبو صالح ومحمد بن سيرين .

(٢) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٤/١٢ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت ، وليت شعرى هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبى هريرة بالحديث ، وهو حجة لو تفرد ، أم جهلوا ذلك فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبى هريرة إياه ، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟ وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف ؟ وماأحسن ماقيل :

فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم"(١)

وعبيد بن حنين(٢)ثقة لامطعن فيه ، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى فى مقدمته ، ولم أقف على من طعن فى توثيقه من العلماء. ولعمرى لو تفرد برواية الحديث عن أبى هريرة لقبل تفرده ، فإن تفرد مثله لايقدح فى صحة الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا انفرد الراوى بشىء نظر فيه فإن كان ماانفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ماانفرد به شاذاً مردوداً ، وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما أمر رواه هو لم يروه غيره فينظر فى هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثوقاً بإتقانه وضبطه قبل ماانفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ... وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفراده خارماً له مزحزحاً له عن حيز الصحيح"(٣).

ولو رد الحديث الصحيح بتفرد الراوى الثقة له لرد كثير من الأحاديث ، وتعطلت كثير من المسائل عن دلائلها(٤).

(٢) كونه حديث آحاد ومن أجل ذلك سهل رده ، قول مردود ، وحجة داحضة ، وقد سبق الكلام عن ذلك فلاإعادة ههنا .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .

(٢) عبيد بن حنين سبقت ترجمته . انظر : ص ٦٩٠

(٣) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص١٠٤ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص٥٥ .
وانظر : تدريب الراوى ٢٣٤/١ .

وقول رشيد رضا بأنه غريب عن التشريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك ، فذكر أن فى أحد جناحيه داء ، ولكنه زاد ببيان أن فى الآخر شفاء ، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"واعلم أن فى الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم ، والحكة العارضة عن لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله فى الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوة البشرية"(٢).

وقال الشوكانى رحمه الله :

"والفائدة فى الأمر بغمسه جميعاً هى أن يتصل مافيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء ، فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر"(٣).

والقول بنجاسة الذباب لادليل عليه لأنه لاملازمة بين الضرر والنجاسة ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لاينجس بموت مالانفس له سائلة فيه ، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب وحياته عند غمسه(٤).

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) زاد المعاد ١١٢/٤ .

(٣) نيل الأوطار ٧١/١ .

(٤) انظر : فتح البارى ٢٥١/١٠ ، نيل الأوطار ٧١/١ .

قال الخطابى رحمه الله :

"فيه من الفقه : أن أجسام الحيوان طاهرة ، إلا مادلت عليه السنة من الكلب ومالحق به فى معناه .

وفيه دليل : على أن مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه . وذلك أن غمس الذباب فى الإناء قد يأتى عليه ، فلو كان نجسه إذا مات فيه لم يأمره بذلك . لما فيه من تنجس الطعام ، وتضيع المال ، وهذا قول عامة العلماء"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"هذا الحديث فيه أمران : أمر فقهى ، وأمر طبى ، فأما الفقهى ، فهو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات فى ماء أو مائع، فإنه لاينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولايعرف فى السلف مخالف فى ذلك . ووجه الاستدلال به أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمقله ، وهو غمسه فى الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولاسيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفساد الطعام ، وهو صلى الله عليه وسلم إنما أمر بإصلاحه ، ثم عدى هذا الحكم إلى كل مالانفس له سائلة ، كالنحلة والزنبور ، والعنكبوت وأشباه ذلك ، إذ الحكم يعم بعموم علته ، وينتفى لانتفاء سببه ، فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لادم له سائل انتفى الحكم بالتنجس لانتفاء علته"(٢).

والقول بأنه لافرق بين جناحى الذباب بأن يحمل أحدهما سماً والآخر شفاء قول يناهض الحديث ، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات فى الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف .

---

(١) معالم السنن للخطابى مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤٠/٥-٣٤١ .

(٢) زاد المعاد ١١١/٤-١١٢ .

ومقله : أى غمسه فى الماء ونحوه . انظر : النهاية ٣٤٧/٤ .

والأمر الطبى سبق إيراده قريباً .

وانظر : شرح السنة للبغوى ٢٦٠/١١ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء فى السابق ، ولاأدرى أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا ـ مع سعة اطلاعه ـ أم تجاهله ؟ وكلا الأمرين ذميم فى حقه ، وقد ذكر ذلك معاصروه(١).

قال الخطابى :

"وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له . وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذباب ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء ، وتؤخر جناح الشفاء ، ومأأربها إلى ذلك ؟

قلت : وهذا سؤال جاهل ، أو متجاهل . وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة ، إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها ، وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها : بجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة ، وجعل لها الهداية أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً ، لما أراد من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف . وفى كل شىء عبرة وحكمة . ومايذكر إلا أولوا الألباب"(٢).

وقال ابن قتيبة رحمه الله :

"فما ينكر من أن يكون فى الذباب سم وشفاء ، إذا نحن تركنا طريق الديانة ، ورجعنا إلى الفلسفة ؟

وهل الذباب فى ذلك إلا بمنزلة الحية ؟ فإن الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها ، إذا عمل منه الترياق الأكبر ، ونافع من لدغ العقارب

---

(١) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٨/١٢ فى الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠ .

(٢) معالم السنن مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤١/٥-٣٤٢ . وأربها ـ وتكسر الهمزة ـ أى حاجتها لذلك .
انظر : القاموس المحيط ص٧٥١ ، النهاية ٣٥/١ .

وعض الكلاب الكلبة ... الخ .

وكذلك قالوا فى العقرب : إنها إذا شق بطنها ، ثم شدت على موضع اللسعة نفعت ...

والأطباء القدماء ، يزعمون أن الذباب إذا ألقى فى الإثمد ، وسحق معه ، ثم اكتحل به زاد ذلك فى نور البصر ، وشد مراكز الشعر من الأجفان ، فى حافات الجفون ... وقالوا فى الذباب : إذا شدخ ، ووضع على موضع لسعة العقرب ، سكن الوجع .

وقالوا : من عضه الكلب ، احتاج إلى أن يستر وجهه من سقوط الذباب عليه ، لئلا يقتله .

وهذا يدل على طبيعة فيه شفاء أو سم"(١).

(٣) والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه يقطع بمضار الذباب ، قول من جهل معنى الحديث ، وعجز عن فهمه .

والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة .

وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شىء علما ، حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لايجوز مخالفته . بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور(٢).

وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد ، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات .

بينما الذى نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى من عند الله تعالى ، العليم بخفاء ماغاب عن الخلق جميعا .

ولازال علماء الطب يطلون على العالم فى كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية واقية لم تكن عرفت من قبل .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٣٠-٢٣١ .
قال ابن الأثير : "الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون ، فلايعض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا" . النهاية ١٩٥/٤ . وانظر : لسان العرب ٧٢٣/١ ، الصحاح ٢١٤/١ مادة (كلب) .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص٢٢١ .

فلماذا لايكون مايحمله الذباب على جناحه من شفاء مما خفى علمه عن الأطباء حتى اليوم ؟

إذ عدم العلم بالشيء لايستلزم العلم بعدمه .

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقه أو بطلانه ؟ وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحى الله إليه ؟

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برهان قائم بنفسه لايحتاج إلى دعم خارج عنه ، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين ، وإن لم يكونوا كذلك فيلزمهم التوقف إن كانوا عقلاء . والمسلم لايهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب مادام ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة .

ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ماجاء فى هذا الحديث من الناحية الطبية ، وهنالك كثير من البحوث والمقالات فى هذا الجانب ، منها المطول ومنها المختصر .

أختار من بينها ماذكره أحدهم فى محاضرة بجمعية الهداية الإسلامية بمصر حيث قال :

"يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضاً ، فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ"مبعد البكتريا" وهى تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ، ولايمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير فى جسم الإنسان فى حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية فى أحد جناحى الذباب ، هى أنه يحول البكتريا إلى ناحيته ، وعلى هذا فإذا

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذى يحمله الذباب فى جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة ، وكاف فى ابطال عملها"(١).

فالعلم الحديث يؤيد ماجاء فى الحديث ويعضده ، فهل بقى للمتشبثين بذلك من حجة يحتجون بها ؟ اللهم إلا الهوى .

(٤) الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ... الخ .

زعم قصد ماوراءه ، من تحقير للحديث وتهوين لأمره ، وتنفير الناس عنه ، وهى دعوى تردد وتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما ، ولذلك يكثرون من ذكر هذه العبارات التى لاتدل إلا على تنصل صاحبها من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمل بها.

والإسلام دين كامل ، بعقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، لايحقر جزء من جزئياته ، ولافرع من فروعه ، ولايستهان به . وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرائع الإسلام من غير تفريط فى جانب منها مع القدرة على ذلك .

قال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين}(٢).

قال ابن كثير رحمه الله فى معنى هذه الآية :

"يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره مااستطاعوا من ذلك"(٣).

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٥٥/٤ الهامش ، دفاع عن السنة ص٢٠٠-٢٠١ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/١ .